الأزمة وطُرق المعالجة في القرآن الكريم
(سورة يوسف(عليه السلام) أنموذجًا)

الأستاذ المساعد الدكتور
علي مطوري
الأستاذ المساعد الدكتور
عاطي عبيات
جمهورية إيران الإسلامية / جامعة شهيد جمران الأحواز
كلية الشريعة الإسلامية

(

الأزمة وطُرق المعالجة في القرآن الكريم

(سورة يوسف(عليه السلام) أنموذجًا)

الأستاذ المساعد الدكتور
علي مطوري
الأستاذ المساعد الدكتور
عاطي عبيات
جمهورية إيران الإسلامية / جامعة شهيد چمران الأحواز
كلية الشريعة الإسلامية

الملخص:

إن العصر الذي نعيش فيه حافل بالأزمات والمحن الإقتصادية والإجتماعية وأزمات الحروب والنزاعات وغيرها وما أن تنتهي أزمة في بلدٍ ما تتشب ثانية في بلد آخر وعلي إثر هذه الأزمات تتفشي المجاعة والبطالة والفقر والحرمان وكل هذه الأزمات التي تعصف بالعالم تختلف بطبيعتها وحجمها وعوامل نشأتها وآليات الخلاص منها. لذلك من الضروري عدم الإكتفاء بالإنتظار حتي حدوثها ولذلك لابّد علي كل من يتولي القيادة وفق المنظور القرآني المتمثل في سورة يوسف (عليه السلام)،أن يكون لديه خطط وبرامج واستعدادات مسبقة للتعامل مع أي طاري لإحتواء أضراره والحدّ منها حتي يستطيع الإبحار بالسفنية نحو شاطئ الأمان.فهذه السورة حملت في طياتها الكثير من أسس الإدارة وإدارة الأزمات والمحن التي يتعرض لها الإنسان وماتعرض له يوسف (عليه السلام) خاصة فاستطاع هذا النبيّ بصبره وحنكته وفضل قيادته الرشيدة ،بعدما منّ الله عليه وأكرم مثواه عند عزيز مصر أن يتجاوز أزمة طاحنة حلت بالبلاد والعباد. فهذا المقال عبر المنهج التحليلي الإستنباطي يحاول التعريف بالأزمة ومسبباتها وأنواعها وطرق إدارتها

وعلاجها وقيادتها عبرالرؤية القرآنية في سورة يوسف(عليه السلام) و والقياس عليها في الأزمات المعاصرة التي تتشابه معها في الأسباب والإستفادة من هذا الطرح القرآني المثمرفي مواجهة المحن.

الكلمات الدليلية: القرآن ، سورة يوسف،الأزمة، الإدارة ، القيادة،الفتنة،الكرب، البلاء

المقدمة:

لقد رافقت الأزمات والكوارث الإنسان منذ أن دبّ علي وجه البسيطة وتعامل معها وفق إمكانائه المتاحة للحد من آثارها ، أو مارس فقط دور المتفرج إن تجاوزت الكارثة المتأزمة قدراته وإمكاناته المحدودة. «فالأزمات والكوارث عبارة عن تغييرات مفاجئة غيرمتوقعة تطرأ علي البيئة الداخلية إو الخارجية للمنظمة دون توقع مسيق لحدوثها، أو فرص لتجنبها، فهي تحتوي بداخلها علي بذور النجاح وجذور الفشل، والمنظمة الأكثر استعداداً وقدرة علي مواجهة الأزمات أو الكوارث هي التي تتميز بتوافر فرص النجاح في إدارة الأزمة وتوجيهها بما يتوافق مع إمكانيات وقدرات المنظمة ووسائلها في التغلب علي الأزمة (أبوقحف،٢٠٠٢، ٢٤٣)فالأزمات الطاحنة إذا حلت في بلد ما ستخلف خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات والبني التحتية وقد تؤدي إلي تغيير جذري في الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والسياسية لذلك البلد. فالتعامل العلمي الحكيم مع الأزمات والكوارث من شأنه أن يحد من المخاطر والآثار الناجمة عنها، وهذا التعامل يشمل مختلف مراحل الأزمة بدءاً من التنبؤ بها وأثنائها ومابعدها فالتخطيط المحكم في إدارة الأزمة سيساعد في إتخاذ القرارات الصائبة وتوظيف الكفاءات كما يعمل علي ترشيد الأستهلاك في الموارد الإقتصادية مما يجنب البلاد من خسائر فادحة وتفاديها في المستقبل. فالمجتمع الإسلاميّ بصفته

جزءً لايتجزأ من المنظومة العالمية عرضة لتلك الأزمات والكوارث فعليه الرجوع والإستفادة من الخطط القرآنية التي وضعت من أجل مقابلة تلك الأزمات والمحن. فالمراجعة الدقيقة والقراءة الواعية لسورة"يوسف" علي سبيل المثال ونحن بصدد تناولها سيدفع أصحاب الشأن كثيراً في التفكيرالجدي في كيفية التعامل مع أزمات إقتصادية أومالية أوغيرها بشكل فعال مما يؤدي إلي تقليل نتائجها السلبية،كما أمكن ذلك. وإستلهام الدروس من هذه السورة المباركة في طرق تصديها للأزمة الإقتصادية التي مرّت بمصرَ في زمن "النبيّ يوسف" (عليه السلام) والقياس عليها في الأزمات المعاصرة التي تتشابه معها في الأسباب أو محاولة تجنب الأسباب كي لا يقع فيها المجتمع وتوفير الحلول المناسبة قبل تفاقم الأمور.

الخلفية تاريخية:

تناولت دراسات كثيرة هذه السورة المباركة علي الصعيد الأدبي والقصصي والبلاغي والنحوي والصوتي وغيرذلك من البحوث ومن هذه الدراسات التي عثرنا عليها ومنها: رسالة ماجستيرالبعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف نموذجاً للباحثة مريم سعود٢٠٠٥،جامعة الجزائر،و برقيات من قصة يوسف (عليه السلام) بالقرآن الكريم للدكتور ابراهيم ابوسالم ،جامعة فلسطين، ودراسة تحليلية لسورة يوسف ١٩٨٩للدكتور أحمد نوفل ورسالة ماجستير للباحثة مريم أمين خضر بعنوان :المحن والإبتلاءات في سورتي يوسف والقصص ٢٠١١، ،ودراسة الفتن في حياة يوسف (عليه السلام) للباحث عبدالحميد البلالي. والإدارة في الإسلام للدكتور أبوسن أحمد إبراهيم،١٩٨٤.و كتاب إدارة العمل الإسلامي للباحث عباس نورالدين. وكتاب قدوتنا في الضيق يوسف الصديق للباحث سعيد عبدالعظيم، وكتاب قطوف إدارية في القرآن الكريم للباحث أحمد عبدالسلام الدباس.

تعريف عام سورة يوسف:

اتضح لنا من خلال كتب التفسير أن هذه السورة المباركة لها اسم واحد وهو "يوسف" ووجه تسميتها ظاهر لان فيها ذكرت قصة النبي يوسف كلها ولم تأتي في أي موضع آخر. وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة أية. سميت هذه القصة باحسن القصص " لان فيها العفو والرحمة لمن تآمروا وخططوا واتفقوا على القضاء على يوسف وفي النهاية يأتي قراره مغايراً لطبيعة النفس البشرية، يأتي بالعفو والقبول، ونسيان الماضي، والدعوة لهم بالغفران من الله سبحان وتعالى " (عبدالعظيم، د.ت ، ١٢) هذه السورة مكية في مجملها وهناك من استثنى ثلاث أو اربع آيات منها مدنية (السيوطي، ٢٠٠٣ : ٣١/١٠) لكن الرأي الراجح عند الجمهور بانها كلها مكية.

اما الهدف العام من هذه السورة قد تجسد في اثبات ان القرآن من عند الله سبحانه وتعالى، وذلك بذكر الادلة التي تؤكد من خلال الاعجاز القصصي الغيبي الذي تجسّد في قصّ قصة يوسف بهذا الحسن وروعة البيان، فهي من انباء الغيب يقصها الله على عباده بهذا الإحكام والتفصيل ليتحقق من خلالها اهداف كثيرة منبثقة عن هذا الهدف من خلال سرد هذه القصة العظيمة، وذكرها بالتفصيل . من اهم هذه الاهداف: ١- مواجهة تكذيب قريش بالوحي الى رسول الله بتقرير مأخوذ من هذه القصص الاذي لم يكن النبي حاضراً وقائعه، وتجلى ذلك في قوله تعالى:(ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) (يوسف:١٠٢) ٢- التسرية عن قلب رسول الله وتهوين امر المكذبين على نفسه وبيان مدى عنادهم وإصرارهم وعماهم في الآيات المبثوثة في الكون، وقد تجلى ذلك في قوله: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) (يوسف:١٠٣-١٠٤) ٣- توجيه النبي الى تحديد طريقه وتمييزها وإفرادها عن كل طريق والمقاصد على اساسها التي تتوافق مع الدعوة الى الله

وقد تجلى ذلك في قوله: (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف:١٠٨) ٤- اخذ العبرة من القصص القرآني، ومعها التثبيت ، والتسرية، والبشرى للنبي وللمؤمنين، وتحمل للمشركين المعاندين رسالة في طياتها التذكير والعظة والنذير و تجلى ذلك في قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (يوسف:١٠٩) ٥- الايحاء للنبي بالبشارة في التمكين في الارض وذلك من خلال مناسبة قصة يوسف بجملتها للفترة الحرجة التي كانت تمر بها الامّة الاسلامية في مكة عند نزول السورة وللشدة التي كان رسول الله ، والقلة المؤمنة معه يتعرضون لها من الاذى والتهجير والاضطهاد والتعذيب والغربة والمقاطعة وذلك بما تحمل القصة من عرض لابتلاءات النبي يوسف ثم بما تحمله بعد ذلك من الاستفزاز من الارض ثم التمكين له والثبات . (سيد قطب،١٩٨٠ : ١٠/٦٦)

الازمة لغوياً:

الأزمة تعني الشدة والقحط، والمأزم هو المضيق، ويطلق على كل طريق بين جبلين مأزم . (الرازي، ١٩٦٧ : ١٥) وقال ابن منظور: الأَزْمَة السَّنة المُجْدِبة وأزم عليهم الدهر يؤزم أزماً ما أشتد قحطه (ابن منظور، ١٩٦٨ : ١٦) وعلى هذا الاساس فالأزمة هي كل ضائقة أو شدة يواجهها الانسان(ابن فارس، ١٩٩١ : ٧٧)

وحيث أن بعض الباحثين من عرف الأزمة بالمفهوم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي حيث أشار إلى ذلك بقوله: يقصد بالأزمة من الناحية الاجتماعية: " توقف الأحداث المنظمة والمتوقعة واضطراب العادات مما يستلزم التغيير السريع لإعادة التوازن، ولتكوين عادات جديدة أكثر ملائمة" (عليوة، ٢٠٠٢ : ١٣).

أما الأزمة من الناحية السياسية: " حالة أو مشكلة تأخذ بأبعاد النظام السياسي وتستدعي اتخاذ قرار لمواجهة التحدي الذي تمثله سواءً كان إدارياً، أو سياسياً، أو نظامياً، أو اجتماعياً، أو اقتصاديا، أو ثقافياً"(عليوة، ٢٠٠٢ : ١٣).

ومن الناحية الاقتصادية فهي تعني:" انقطاع في مسار النمو الاقتصادي حتى انخفاض الإنتاج أو عندما يكون النمو الفعلي أقل من النمو الاحتمالي"(هلال، ٢٠٠٤ : ٥١).

الازمة اصطلاحاً:

لقد عرف الباحثون الأزمة بأنها : " الأزمة هي تلك النقطة الحرجة واللحظة الحاسمة التي يتحدد عندها مصير تطورها، إما الى الأفضل وإما الى الأسوء أو الحياة أو الموت، الحرب أو السلم لإيجاد حل لمشكلة ما أو انفجار " (الشعلان، ٢٠٠٢ : ٢٥) ويعرف معجم ويبستر(webster) الأزمة بأنها : نقطة تحول إلى الافضل أو الاسوأ، وهي لحظة حاسمة، أو وقت عصيب، أي وضع وصل الى مرحلة حرجة (علاء احمد صالح، ٢٠٠٤ : ١٧) أما الحملاوي عرف الأزمة بأنها: " خلل يؤثر تأثيرا ماديا على النظام كله، ويهدد الافتراضات الرئيسة التي يقوم عليها النظام " (الحملاوي، ١٩٩٧ : ١٣) وقد عرفها شعلان بأنها :

كما أن الازمة تعني: " نقطة تحول، أو موقف مفاجئ يؤدي الى أوضاع غير مستقرة، وتحدث نتائج غبر مرغوب فيها، في وقت قصير، ويستلزم قرار محدد للمواجهة في وقت تكون فيه الأطراف المعنية غير مستعدة، أو غير قادرة على المواجهة ". (جبر، ١٩٩٨ : ١٧٤)، و من خلال هذه التعريفات نرى أن الازمة حالة من عدم الاستقرار توقع بحدوث تغيير حاسم وشيك قد تكون نتائجه غير مرغوبة بدرجة عالية أو مرغوبة وإيجابية للغاية .

وقد وردت الازمة في القرآن الكريم بثلاثة معان :

الازمة بمعنى البلاء:

ومعنى البلاء في اللغة الاختبار ويكون بالخير والشر ويقال أبلاه الله بلاء حسن (الجوهري، د.ت : ٢٨٥/٦) سنذكر بعض الآيات القرآنية الدالة على أن الازمة يقابلها في القرآن الكريم البلاء أو الابتلاء يقول تعالى في سورة الاعراف:(وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الأعراف:١٦٨) نجد أن الآية الكريمة قد بينت أن الابتلاء(الازمة) يكون بالحسنات والسيئات بهدف الاصلاح والاختبار والتمحيص . وفي سورة الكهف يقول سبحانه وتعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الكهف:٧) نجد أن الآية الكريمة تعد جوانب الترف والبذخ والزينة من مسببات البلاء(الازمة)

الازمة بمعنى الفتنة:

يقول تعالى في سورة البقرة: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) (البقرة:١٩١) يظهر لنا في هذه الآية أن الفتنة أعظم واشدّ من القتل ففي هذا المقطع القرآني تظهر الفتنة بأنها أوسع وأعم من كلمة الازمة أي أنها أقوى الازمات وأخطرها. وقد وردت في القرآن الكريم كلمة (فتنة) في مواقع كثيرة ومتعددة منها قوله في سورة الانبياء: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء:٣٥) توحي الآية السابقة أن البشر كلّهم مبتلون (بالازمات) وربما يكون هذا البلاء خيرا أو شرا ولا ينحصر على الشر في ذاته.

الازمة بمعنى الكرب:

الكرب الغم يؤخذ بالنفس، ويقال رجلٌ مكروب (مجمل اللغة، حسين اللغوي، د.ت : ٧٨٣/٣) الكرب الحزن يأخذ بالنفس كالكرب بالضم جمع كروب وكربة وهو الغم (الفيروز آبادي، د.ت : ١٢٧/١) يقول تعالى في سورة الصافات: (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) (الصافات:٧٦) تشير الآية السابقة أن النبي(عليه السلام) في هذه الآية قد نجاه الله وأهله من أزمة عظيمة مرت في قومه. ويقول تعالى ايضا في سورة الانعام: (قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ) (الانعام:٦٤) نرى أن الله سبحانه وتعالى يخاطب البشرية كلها من الذي يستطيع أن ينجيهم من الازمة التي هم فيها واقعون غير الله فلماذا تكفرون به.

وخلاصة ما سبق يظهر لنا واضحا بان كلمة فتنة وبلاء وكرب تمثل المعنى الحقيقي للازمة التي نتعلمه في العلوم الحديثة بل نجد أن هذه الكلمات في مفهومها أوسع وأعم وأكثر دقة من لفظ الازمة التي يُتعامل بها في المصطلحات الادارية.

مراحل إدارة الازمة:

المرحلة الاولى: اكتشاف الدلائل والتأثير بما يشير بأن هناك أزمة بالافق إذ يكون هناك مؤشرات تعتبر بمثابة الانذار المبكر يتحسسها المتخصصون ويحاولون تفسيرها.

المرحلة الثانية: احتواء الاضرار والحد منها ويكون ذلك بعد أن يكون من المستحيل منع الازمة ويتوجب على الادارة أن تعمل على إعداد الوسائل التي تحد من الاضرار وتمنع الانتشار.

المرحلة الثالثة: التكيف وإعادة النشاط وتأتي هذه المرحلة بعد المواجهة ومعرفة الخسائر وتقييمها والتكيف مع الوضع وإعادة الامور الى طبيعتها.

القيادة في علم الادارة:

إن القيادة ظاهرة لا يمكن الاستغناء عنها وواجب تحقيقها، أي صناعة القيادة وهي مرتبطة بالوجود المشترك لشخصين او اكثر، وهذا الامر في كتاب الله وسنة رسوله فنجد ان القرآن الكريم قد ذكر مواضع كثيرة في هذا الباب، منها على سبيل المثال قوله سبحانه وتعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء:٨٣) فالنص القرآني يخاطب المؤمنين بأن يردوا امورهم الى قيادتهم مسئولة عنهم، ولها تصوراتها وفهمها للامور بطريقة اعم واوضح من الجميع.

تعريف القيادة لغة:

القيادة من الفعل قود ونقيض السوق، يقود الدابة من إمامها ويسوقها من خلفها فالقود من أمام، والسوق من خلف والاسم من ذلك كله القيادة، والانقياد هو الخضوع.

تعريف القيادة اصطلاحاً:

القيادة: " هي المقدرة على التأثير في الناس ليتعاونوا لتحقيق هدف يرغبون فيه أو هي القدرة على التنسيق والتوجيه لجهود شخصين أو اكثر لتحقيق الاهداف المنشودة بأعلى قدر من الكفاية والمشاركة من افراد الجماعة " (ابو سن، ١٩٨٤ : ٩٧) .

والذي نستطيع ان نلخص اليه في فهم واسع لمعنى القيادة انها هي العملية التي تتعلق بالتوجيه والتأثير في انشطة المهام التي يقوم بها اعضاء الجماعة، لتحقيق الاهداف الموجودة بأعلى درجات الكفاءة، وبذلك تكون اوسع اصطلاحاً وهي لا تشمل السلطة فقط، ولا القيام بالجهد بل القدرة على التأثير في الآخرين.

ويؤكد الاسلام على حتمية القيادة وهي كضرورة اجتماعية، ومن اجل وحدة الامة لابد لها من قياتدة موجهة رشيدة، وتكون في يد ولاة الامور الذين تختارهم الامة ويتولون الحكم، وهذه القيادة ليست سهلة بل تتطلب مقومات لابد من توافرها، وليس ولي الامر هو المسؤول عن رعاية الامة بل كل في موقعه.

صفات القيادة:

في ضوء دراسة هذه السوره العظيمة نستطيع ان نحدد بعض الصفات اللازمة لصناعة القيادة ومن اهمها على سبيل البيان لا الحصر: المبادرة الذاتية وتفسير الامور، الاستعصام بالله ومخالفة الهوى، العلم مصدر الثقة، عزت النفس، التخطيط السليم، التزام العهد والميثاق، النقد البنّاء والصفح الجميل، وصفات كثيرة اخرى لا سبيل للتطرق اليها جميعها.

نماذج من إدارة الأزمات في القرآن الكريم:

ينبهنا الله سبحانه وتعالى منذ خلق آدم الى قيام الساعة على أن الحياة الدنيا لها نهاية، وأنها لا تستمر على وتيرة واحدة: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران:١٤٠) وأن الانسان سيجابه بعدة عوائق وأزمات خلال عمره منها ما يتسبب فيها بجهله، ومنها ما يقع فيها نتيجة لظلمه، وأن المجتمعات ستقابل أيضاً بأزمات يتسبب الانسان في معظمها بجهله وبعدم إطاعته للأوامر وانتهائه عن النواهي .

أشار القرآن الى عدد من الكوارث الأرضية بعد عصر آدم كالغرق في قوم نوح، والريح في قوم عاد، وهلاك ثمود بالصيحة، وقوم شعيب بالصيحة والظلة، وقوم لوط بالخسف، وآل فرعون بالجدب والفيضان ثم الغرق، ويونس بالتقام الحوت له ثم نجاته ولم يهلك الله قومه لتوبتهم ورجوعهم الى الايمان: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى

حِينٍ) (يونس:٩٨) وفي كل قصص القرآن عبر وعظات لتوعية المسلمين كيلا يقعوا في الأزمات ويعجلوا لها قبل أن تقع.

معالجة الازمات في القرآن الكريم:

إن واقع القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ الأمة الاسلامية حتى واقعنا المعاصر مليء بالازمات وقد وجدنا فيها الحلول الربانية والتي كان لها اثر مباشر لاستيعاب هذه الازمات فتاريخ الازمات ليس مرتبطاً بالظواهر الحديثه أو مرتبطة بالثروات الصناعية أو التطور عبر الزمن، لان القرآن الكريم قد طالعنا باكثير من الامثلة على هذه الازمات وطرق مواجهتها ومن بين اهم هذه الامثلة ما جاء في سورة يوسف قبل حوالي اكثر من ثلاث آلاف عام وقد لّمح كثير من الكتاب الحديثين عن هذه الحادثة كنموذج من نماذج ادارة الازمات عندما رأى ملك مصر في منامه رؤية لم تستطع حاشيته تفسيرها من شدة غرابتها، وعندما علم بمن يفسرها، ارسل اليه وبعد ان سمع الملك تأويل الرؤيا ادرك ان مصر مقبلة على حادثة تتمثل في مجاعة وبينها القرآن في حكاية على لسان العزيز: (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) (يوسف:٤٣)" .

وكان الجواب من يوسف ان مصر سوف تمر بسبع سنوات من الرخاء يليها سبع سنوات من الجدب والفقر وأوصى بان ما يقومون بزراعته من الحبوب كالقمح مثلاً يستهلكونه بالكامل خلال السبع السنوات الاولى بل يستهلكون جزءاً منه بقدر ما يحتاجون وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز هذا الامر حكاية على لسان يوسف: (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ) (يوسف:٤٧)

وضع القرآن الكريم الاسس العلمية والعملية لعلم ادارة الازمات، وضرب لذلك مثلا في سورة يوسف، برؤيا الملك، والتيمثلت انذار بقرب حدوث مجاعة في المنطقة، وقدر الله لنبيه يوسف وضع الخطة العلمية والعملية للخروج من هذه الازمة.

إن من يتدبر القرآن الكريم وآياته يدرك ان القرآن جاء من اجل الانسان واننا لو تفحصنا آياته ما وجدنا كلمة ازمة فيه ولكننا نجد كلمات تعبر عن معنى الازمة وربما بصورة اوضح واكبر وهذه الكلمات هي "ابتلاء" و "كرب" و "فتنة" . ولو تدبرنا الآيات في هذه الكلمات الثلاثة لوجدناها كثيرة ولسنا بصدد ذكرها الآن ولكن لو تصفحنا معانيها لوجدناها تعالج جوانب العقيدة لدى الفرد والجماعة أثناء ما يحل بهم من ازمات ويمكن ان نتناول الازمات في القرآن الكريم على انها مشكلات يواجهها الخلق بهدف الاختبار والاتقان والتحقق من قوة الايمان واهم ما يميز موضوع الازمات في القرآن الكريم:

١- إنها تعالج الجانب العقدي لدى الافراد والجماعات

٢- إن الازمة تمثل تغيراً في حياة الامم والشعوب والافراد

٣- إن الازمة تمثل مشكلة متعددة الاسباب والابعاد

٤- إن كل ازمة تحقق من بعدها هدفاً .

إدارة الازمة في سورة يوسف :

قبل التطرق بشأن معالم إدارة الأزمة التي نجمت في مصر في عهد يوسف (عليه السلام) التي عمّت مصر وجوارها كان يتطلب قيادة رشيدة حصيفة تقوم بمعالجتها ومن خلال تتبعنا لسورة يوسف تبيّن أنّه يمتلك شخصية ذات مقومات قيادية فأثبتت التجربة أن يوسف (عليه السلام) كان يعرف نفسه، فلقد استطاع أن يضاعف الإنتاج الزراعي لمصر وبالتالي الميزان التجاري كله، حتى غدت مصر مستودع حبوب المنطقة كلها بفضل الله ثم بكفاءة القيادة التي تصدت لهذه

المرحلة التاريخية الحساسة الخطرة، ويدل تصرف يوسف في سني الخصب والجدب على مهارة واضحة في الإدارة والاقتصاد، فقد أشرف على المالية والتموين أربع عشرة سنة، لا على تموين مصر وحدها، بل على تموين البلاد القريبة المجاورة، التي أجدبت كذلك، وجاءت مصر تستجدي الخبز والحياة سبع سنين(نوفل، ١٩٨٩ : ١٣٧) . وكل هذه التصرفات تدل على سلوك الرجل الواعي الحصيف في إدارة الأزمة ومعالجتها.

فعلى الرغم من أن حدوث الازمات في قدم التاريخ، الا ان وجود هذا العلم أي (الإدارة ومواصفات القيادة الحصيفة) كواقع لم يظهر الا في القرن الاخير، نظراً لتسارع الازمات وتنوعها ، لكن القرآن الكريم قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة قد اشار الى هذا العلم وضرب لنا نموذجا حياً في سورة يوسف لادارة الازمات وكيفية التعاطي معها واظهر لنا معالم ادارة الازمة منها:

اولا: اكتشاف الازمة أو التنبؤ بها:

ويكون ذلك بالاخبار من الجهات العليا أو قراءة تحليلية للمستقبل عبر المعطيات الموجودة ونرى ذلك واضحا وجليا في رؤيا الملك حيث يقول سبحانه وتعالى على لسان الملك: (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) (يوسف:٤٣) إن العلماء والكهنة والعرافين عند الملك قد عجزوا عن تأويل الرؤيا ولكن يوسف(عليه السلام) بتوفيق الله وبما منحه من علوم استطاع قراءة الرؤيا والوصول الى تحديد الازمة التي ستحل بالقوم في السنوات القادمة فبعدما سمع يوسف رؤيا الملك على لسان رسول الملك استطاع ان يحدد الازمة لانه اول السنبلات الخضر والبقرات بسنوات الخصاب واول سنبلات اليابسات والبقرات العجاف بسنوات الجدب مما هيأ له تبيان الحل للمستقبل المقروء من هذه الرؤيا.

ثانيا: التخطيط المبكر لحل الازمة:

إن الادارة الناجحة في حل الازمات هي التي تخطط مبكراً لتوقع الازمات ويعلمنا القرآن ذلك قبل الف وأربعمائة سنة حيث ظهر ذلك جلياً في قوله تعالى على لسان يوسف: (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ) (يوسف:٤٧) نخرج من ذلك أن الذي يستطيع ان يحل المشكلة هو الذي يحددها ويتعرف عليها من خلال الواقع وان الطبيب البارع هو الذي يستطيع تحليل المرض أو التنبؤ به عن طريق دراسة الحالة المرضية وهذا امر مربوط في الصفات والمؤهلات التي يتصف بها هذا القائد .

ثالثا: مضاعفة الانتاج والاستثمار:

وهذا الامر مهم لادارة الازمة ويظهر لنا في تركيز يوسف على (تزرعون) و(سنين دأبا) و(فما حصدتم) و(فذروه) و(مما تأكلون) و(ما قدمتم) و(مما تحصنون).

إن خطاب يوسف لهم بهذه الالفاظ هو خطاب الجمع لا خطاب الفرد إن دلّ فإنّما يدل على ضرورة مشاركة الجميع في عملية الانتاج والاستثمار وان الثروة البشرية بمجموعها مخاطبة في هذه المصطلحات.

رابعا: تحديد الازمة:

إن تحديد الازمة بعينها يساعد القائمين على امر البلاد وعلى وضع آليات الحل وتركيزه على العناصر الاساسية التي تقضي على الازمة وهذا الامر واضح في تصور يوسف لحل الازمة.

خطوات على طريق حل الازمة:

الخطوة الاولى: زيادة الانتاج (تزرعون سبع سنين دأبا)

فالخطاب موجه لكل عناصر المجتمع ويجب أن يشارك الجميع في عملية الزراعة وان تستثمر الدولة كل امكانياتها في ذلك. ويظهر لنا ايضا أنه يطالبهم

بأن تكون طبيعة الزراعة في هذه السنوات مختلفة كلياً عن السنوات السابقة ويتوجب من الجميع ما يلي:

١- مضاعفة مساحة الاراضي التي يراد زراعتها
٢- مضاعفة الايدي العاملة في الجانب الزراعي
٣- اختيار افضل انواع الحبوب
٤- مضاعفة الثروة الحيوانية لانها بمثابة الاجهزة العاملة في المجال الزراعي
٥- الاستمرار على مضاعفة الانتاج في السنوات السبع
٦- توجيه طاقة الدولة كلها حول الاستعداد القصري لمواجهة سنوات الجدب.

كما أكد "نوفل" في هذا المضمار: " بعد كل هذا تأمل كيف زاد يوسف نسبة التشغيل والفاعلية حتى استغرقت الطاقة كل قادر على بذل أي جهد تمثل ذلك في قوله (تزرعون) ثم كيف زاد الانتاج الكلي لمصر اضعافا مضعفة وهذا هو سبيل التنمية. إن الخطة اليوسفية قد راعت هذا كله، فزادت الانتاج الى ما نستطيع تقديره بنسبة (٤٠٠٪) واولت اهتماما ولا شك كبيرا للعوامل البشرية ". (نوفل،١٩٨٩ : ٤١٤)

الخطوةالثانية: خطة حفظ السنبلة (فما حصدتم فذروه في سنبلة)

بعد التركيز على آلية الانتاج ومضاعفته يجب المحافظة عليه وذلك باستخدام افضل الانظمة واقلها ضررا وكلفة، فالحصاد هو جني المحصول من مكان زراعته وبعد ذلك سيتم نقله اما للاستخدام السريع أو لتخزينه إن كان هناك فائض و لحفظ المحاصيل من (التسوس) و (الرطوبة) و (الانبات) و (التأثر بالضوء) يقول النبي يوسف (فذروه في سنبله) فهذه العبارة التي اظهرها يوسف مثلت حلاً لكافة الاضرار السابقة الذكر التي تواجه هذه المحاصيل.

الاعجاز العلمي في ترك الحبوب في أغلفتها وعلى محورها يحفظ الحبوب من التلف لمدة طويلة للاسباب التالية:

١- الاغلفة بها مواد مثبطة تمنع انبات الحبوب

٢- الاغلفة تحمي الحبوب من الجفاف ايام الصيف ومن الرطوبة الخارجية ايام الشتاء

٣- الاغلفة المغطاة للحبوب تعمل عملية الاكسدة الضوئية للمحتويات الغذائية المدخرة في الحبة

٤- الاغلفة تحمي الحبوب من سقوط الجراثيم والفطريات والخلايا البكتيريا عليها. (medicalstudents.ahlamontada.com/montada-f9/topic-t480)

الخطوة الثالثة: **خطة لترشيد الاستهلاك (الا قليل مما تأكلون)**

يقول العلماء في تفسير هذه العبارة " القليل هو اكثر من الثلث واقل من النصف وان الكثير هو اكثر من النصف واقل من الثلثين " يترتب على ذلك أن يكون الذي يستخدمه الناس على لسان يوسف هو اكثر من ثلث الانتاج واقل من نصفه بمعنى أنه لو كان قيمة الانتاج مئة بالمائة وقسمناها خمس وحدات، يكون وحدتان للاستهلاك وثلاث وحدات للتخزين، وهذه الوحدات غير مرتبطة بكميات محدودة، لان الانتاج والاستهلاك غير ثابتين ومرتبطتين بعدد السكان وزيادته .

الخطوة الرابعة: **خطة لحماية الحبوب و تخزينها (الّا قليل مما تحصنون)**

وسبع سنين الجدب التي تلي سبع سنين الرخاء لا تعطي بل تأخذ وتأكل، فهي تقتضي حرصاً واحتياطاً، وكأن هذه السنوات هي التي تأكل بذاتها كل ما يقدم لها شدة الجوع الذي يمر بأهل البلاد، ولن تُبقى شيئاً الا قليل مما يحفظ ويصان(نوفل، ١٩٨٩ : ٤٢٧)

والتخزين يلزمه امور كثيرة لان عملية التخزين ستكون شبه معقدة حيث ان في نهاية السنة السابعة من سنوات الرخاء، سنكون محتاجين لاماكن تخزين بسعة

انتاج اربعة سنوات كاملة، وهو المتبقي من كافة الانتاج العام خلال السنوات السبع الخصبة.

ومن الجدير بالذكر أن عملية التخزين وعمل الموازنة بين النتاج والاستهلاك والتخزين تتطلب ان تكون فيها الدقة والمتابعة السليمة ونكون ملزمين بقاعدة الذي يتم انتاجه اولاً يستهلك اولاً حسب الكميات المطلوبة.

ففي نهاية السنة السابعة من الرخاء يجب ان نكون قد استهلكنا انتاج السنوات الثلاث الاولى وموجود في اماكن التخزين عندنا انتاج السنة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ونبدأ بالاستهلاك من المخزون المذكور ضمن القاعدة المنتجة ويستمر الى نهاية سنوات الجدب.

الخطوة الخامسة: التفاؤل بزوال العسر ومجيء اليسر:

إن النبي يوسف اراد ان يبشر من خلال هذا الآية الكريمة (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) (يوسف:٤٩) الى ان الشّدة يتبعها الفرج والرخاء وتعود الامور سيرتها الاولى ولكن بداية العودة تكون عاماً مبارك الخير فيه، غير معهود العطاء، ووفرة وكثرة وكأن الخير سيأتي بلا جهد، فهو عام فيه يغاث الناس. ولقد حرك يوسف عندهم بتحذيرهم من شدة سنوات القحط ثم حركه ثانيا بفتح نافذة الامل. (نوفل، ١٩٨٩ : ٤٢٧) وعاد المصريون الى الزراعة ثم جني المحاصيل والقيام ببعض الصناعات كعصر الزيوت والعنب والزهور بعد أن كانت تلك الصناعات قد توقفت في السنوات العجاف وقد استمروا كما كانوا في بناء الحضارة .

الخطوة السادسة: القيادة وحسن السفح في سلوك يوسف:

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) (وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) (يوسف:٥٨-٥٩) بعد كل الذي جرى وحدث من ابتلاءات امام رسولنا العظيم يوسف، شاء الله له ان

يمسك بزمام الامور ويوليه الملك الريان على خزائن الارض ولسنا بصدد اظهار احوال الدول المجاورة لمصر في سنين الجدب ولكنه ظهر لنا من خلال الآيات القرآنية ان اخوة يوسف جاءوا من فلسطين بسبب ظروف وجائحة حلّت ببلادهم وارزاقهم، يعني ما جاء بهم الى مصر الا الفقر. يقول احمد نوفل: " وان جلوس يوسف للناس لا يعني اكثر من مسألة منها:

١- إنه يتابع في مصر كل الامور، وخاصة بضرورات الناس الحياتية وعدالة توزيع معايشهم

٢- فتح ابوابه للناس حتى يتمكن كل واحد من الوصول اليه والدخول عليه

٣- لخله بتعليم الله له علم ان اخوته سيجيئون بحثاً عن الطعام فهو جالس يتفقد كل قافلة ينتظر ان يرى اخوانه " (نوفل، ١٩٨٩ : ٤٥٨) والواضح ان مصر لم تكن هي وحدها التي أصيبت بالجدب بل كانت دائرة المجاعة اكثر من ذلك فشملت ارض كنعان (فلسطين) وارض اليمن وغيرها من البلدان المجاورة. (عبدالعظيم بدوي، د.ت : ١٦٢)

واخيراً يمكن القول بان التخطيط والفاعلية الادارية الشاملة التي مارسها يوسف منذ سماعه لرؤيا الملك الى نهاية الاعوام الخمسة عشر، قد شملت كافة مبادئ ادارة الازمة في العلوم الادارية الحديثة، واستطاع يوسف تجاوز الازمة تجاوزاً حقيقياً اوضحته كتب التاريخ القديم التي بيّنت بأن ابناء يعقوب وابنائهم وابناء ابنائهم قد مكثوا في ارض مصر اكثر من اربعمائة سنة.

نتائج البحث:

١-أصبحت الأزمات جزءاً حتمياً من واقع الحياة البشرية وهذا مما يدفع للتفكير الجدي والفاعل في كيفية التعامل مهها لتخفيف حدّة الخسائر وإنقاض مايمكن إنقاضه.

٢- لقد بين القرآن الكريم الوسائل الناجعة والسبل المثمرة في مواجهة الأزمات والكوارث للأمة الأسلامية.

٣- بينت السورة بأن التخطيط والقيادة الرشيدة أساس لكل نجاح والنهوض بالبلد نحو الإنتعاش والإزدهار وقت الأزمات والمحن.

٤- من خلال السورة والمشهد الرؤوية ليوسف (عليه السلام) استطاع التنبؤ بما سيحدث فوضع أسس نظرية وعلمية لمعالجة الأزمة الإقتصادية الطاحنة علي كل الصعد.

٥- القيادة الرشيدة والتخطيط المبكر من قبل "يوسف" (عليه السلام) ساهم بشكل فاعل في تخفيف وطأة الأزمة والحد من أضرارها الجسمية.

٦- إتخاذ القرارات الصائبة والإعتماد علي الكفاءات من قبل "يوسف" (عليه السلام) ساهم في إدارة الأزمة وتوزيع الموارد بشكل عادل ،والحفاظ عليها من الإتلاف.

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم
- إبن فارس(١٩٩١) : معجم مقاييس اللغة، عبد السلام هارون، ط١، بيروت، دار الجبل.
- إبن منظور(د.ت) : لسان العرب، بيروت، دار صادر.
- أبو سن، أحمد إبراهيم(١٩٨٤) : الادارة في الاسلام، الخرطوم،الدار السودانية للكتب.
- أبوقحف،عبدالسلام(٢٠٠٢) : الإدارة الإستراتيجية وإدارة الأزمات، الإسكندرية، دارالجامعة الجديدة.
- البغوي، أبومحمدالحسين بن مسعود (د.ت) : مجمل اللغة، تح:عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة.
- جبر، محمد(١٩٩٨) : المعلومات وأهميتها في إدارة الأزمات ، تونس، المجلة العربية للمعلومات.

- الجوهري، اسماعيل (د.ت) : الصحاح، لبنان، بيروت.
- الحملاوي، محمد(إ١٩٩٥) : دارة الأزمات، القاهرة، مكتبة عين شمس.
- الخلفي، عبدالعظيم بدوي(د.ت) : احسن القصص، بيروت، دار الجبل.
- الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر(١٩٩٥) : بيروت، مكتبة لبنان.
- سيد قطب(١٩٨٠) : في ظلال القرآن، بيروت، ط٩، دار الشروق.
- السيوطي(٢٠٠٣) : الاتقان في علوم القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الشعلان،فهد أحمد(٢٠٠٢) : إدارة الازمات- الأسس والمراحل والآليات، الرياض، أكاديمية نايف.
- صالح، علاء احمد(٢٠٠٤) : إدارة الازمات، القاهره، اصدارات بميك.
- عبدالعظيم، سعيد(د.ت) : قدوتنا في الضيق يوسف الصديق، القاهره،دار الايمان.
- عليوة، السيد(٢٠٠٢) : إدارة الأزمات والكوارث، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع.
- فيروز آبادي،محمدبن يعقوب(١٤٠٦ه) : القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- نوفل، احمد(١٩٨٩) : سورة يوسف دراسة تحليلية، عمان، الاردن، دار الفرقان.
- هلال، محمد عبد الغني(٢٠٠٤) : مهارات إدارة الأزمات، القاهرة، مركز تطوير الأداء والتنمية.

medicalstudents.ahlamontada.com/montada-f9/topic-t480